

مكانة اللغة العربية وأهمية تعليمها وتعلمها قراءة في واقع تدريسها في المدرسة الجزائرية

The status of the Arabic language and the importance of teaching and learning it Reading in the reality of teaching the Arabic language in the Algerian school

تجاني حبشي *

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، habchijani@gmail.com

تاريخ الارسال 2023-02-01 تاريخ القبول 2023-02-25 تاريخ النشر 2023/03/20

ملخص:

إن المتتبع لسيرة تدريس اللغة العربية في الجزائر يدرك جليا أن وضعها متردي للغاية، ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة بعضها متعلق بالجوانب الإيديولوجية وبعضها الآخر متعلق بالجوانب البيداغوجية، ويأتي هذا المقال ليعالج قضية الإصلاح التربوي الأخير الذي تبنته المنظومة التربوية في الجزائر. إصلاح عمدت إليه وزارة التربية الوطنية م تعتبر إياه من أهم الأولويات رغبة منها في تكييف مناهجها مع آخر ما توصلت إليه البحوث التربوية في عالم التربية والتعليم مولية أهمية للغة العربية كلفة للتدريس فما هي انعكاسات ذلك على واقع تدريس اللغة العربية ؟.

الكلمات المتاحة : المقاربة النصية ، الكفاية اللغوية ، الكفاية الاتصالية، الكفاية الفكرية.

Abstract:

The follower of the process of teaching the Arabic language in Algeria clearly realizes that its situation is very deteriorating, and this is due to many reasons, some of which are related to ideological aspects and others related to pedagogical aspects. This article comes to address the issue of the recent educational reform adopted by the educational system in Algeria. A reform undertaken by the Ministry of National Education, considering it one of the most important priorities, desiring to adapt its curricula with the latest findings of educational research in the world of education, giving importance to the Arabic language as a language of teaching. What are the implications of this on the reality of teaching the Arabic language?

Keywords: textual approach, Linguistic sufficiency, Communication sufficiency, Intellectual sufficiency

مقدمة

إن تناول قضية تدريس اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية في هذا الظرف بالذات يعد وعيا حضاريا راقيا، ذلك أن اللغة العربية تعتبر ركنا ركيننا ومقوما هاما من مقوماتنا الحضارية والفكرية والوطنية، فالتحولات التي يشهدها العالم في إطار حوار الثقافات والعولمة تقتضي من الغيورين على العربية تفعيل الحمولة الفكرية للحضارة العربية الإسلامية بجميع روافدها ومركزاتها. وانطلاقا مما أومأنا إليه فإن إثارة هذه القضية تستدعي بالضرورة الحديث عن المنظومة التربوية

في الجزائر، وعن انعكاسات الإصلاح التربوي الأخير على الواقع التعليمي التعليمي. إصلاح عمدت إليه وزارة التربية الوطنية في العشرية الأخيرة، معتبرة إياه من أهم الأولويات، رغبة منها في تكييف مناهجها مع آخر ما توصلت إليه البحوث التربوية في عالم التربية والتعليم، مولية أهمية للغة العربية كلغة للتدريس، غير أنه وعلى الرغم من هذا المشروع الطموح لتحديد المنظومة التربوية والارتقاء باللغة العربية إلا أن الضعف بقي كما هو بل ازدادت حدته، الأمر الذي يفرض طرح التساؤل الآتي: هل هناك نية حقيقية لتفعيل دور اللغة العربية في المنظومة التربوية؟ للإجابة عن هذا السؤال ارتأيت تناول النقاط الآتية:

1- مكانة اللغة العربية

إن للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة، فهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم، وهي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها، واللغة من الأمة أساس وحدتها، ومرآة حضارتها، ولم تكن اللغة-أي لغة- في يوم من الأيام مجرد أداة للتواصل والتعارف بين أبنائها، أو بينهم وبين الآخر ولم تكن مجرد وعاء فكري ثقافي سياسي اجتماعي أدبي في محايده... وإنما هي كل ذلك في صميم استمرار حياة الأمة وتجسيد روحها المميزة لها...، فاللغة خطاب متعدد الوظائف والأهداف.¹

واللغة العربية تمثل مقوم من أهم مقومات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا، والرابط الموحد بيننا، والمكون لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل، ولعل أهم ما يميز لغتنا بين اللغات العالمية الحية، أنها قديمة حديثة في آن واحد، عاصرت اليونانية واللاتينية والفارسية والسنسكريتية، واستطاعت بما تملكه من مرونة وخصائص متنوعة كالترادف والاشتقاق والقياس أن تستمر إلى اليوم، كما أنها تتوافر على خصيصة لا نجدها في اللغات الأخرى وهي الديمومة والقوة والقدرة على الانتشار، لأنها لغة القرآن الكريم، فكانت هذه المنزلة الدينية ذات الأبعاد الإنسانية والعالمية من أسباب ترسيخ أركانها وتقدير مكانتها. فأضحت لغة عالمية، إذ استوعبت تجارب أمم وشعوب تميزت بتعدد مصادرها الثقافية والفكرية، فعبّر عن كل ذلك الفيض الفكري بكفاءة نادرة، فكانت لغة مهمة للمعرفة الإنسانية.² وهي إضافة إلى ذلك تعتبر من أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلها أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل، كيف لا تكون كذلك؟ وقد أشاد بفضلها العلماء والمفكرون والفلاسفة قديما وحديثا من العرب ومن غيرهم، وإنه لحقيق بنا ونحن نستحضر فضل اللغة العربية أن نستعرض ما ذكر في هذا الباب ردا على من عادى العربية وجهل كنهها.

أ- اللغة العربية من وجهة نظر العلماء المسلمين

لقد بلغت العربية شأوا كبيرا ومكانة عالية لدى العرب في العصور الأولى، وارتقت ارتقاء كبيرا على أيدي علماء المسلمين في عصور نهضتهم (القرن الثاني والثالث والرابع بالخصوص)، وليس أدل على ذلك من اعترافهم بعظمتها وإقرارهم بفصاحتها وتفضيلها على سائر اللغات، وفي هذا الصدد نستحضر مقولة الزمخشري: «لغة العرب أفصح اللغات وبلاغتها أتم البلاغات».³ حقيقة يؤكد هذا كل من ابن فارس في كتابه (الصاحي) حيث يقول: «فلما خص - جل ثناؤه - اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه».⁴ وابن خلدون حيث يقول: «وكانت الملكة

الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني «⁵ وقوله: «ولا يوجد ذلك إلا في لغة العرب»⁶. وقال في ذات الموضوع: «تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن»⁷. ومن المحدثين الذين أشادوا باللغة العربية نذكر منهم على سبيل الذكر عبد الوهاب عزام الذي اعتبر أن العربية لغة كاملة محبة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير، ونبضات القلوب ونبرات الحياة. ونذكر مصطفى الرافعي الذي قال: «إن هذه العربية بنيت على أصل سحري، يجعل شبابها خالداً عليها، فلا تهرم ولا تموت، لأنها أعدت من الأزل فلكاً دائراً للنيرين الأرضيين العظمين: كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنها أخذة السحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو يدع»⁸. وقال أيضاً: «إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقةً أو حكماً»⁹. ويكفي أن نختم هذا الجزئية بعرض مقولة الدكتور طه حسين التي طعن من خلالها في شخصية المثقف العربي الذي لا يتقن لغته حيث قال فيما نصه إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً.

ب- العربية من وجهة نظر العلماء الغربيين

اتسمت اللغة العربية بسمات متعددة في حروفها ومفرداتها وإعرابها ودقة تعبيرها وإيجازها، وهذه السمات دفعت الكثير من المفكرين واللغويين الغربيين إلى الإقرار بعظمتها. ومنهم على سبيل الحصر:

أ- كارلو نلينو: الذي يرى أن اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقاً وغنى ويعجز اللسان عن وصف محاسنها.¹⁰
 ب- فاندريك (اللساني الأمريكي): يرى أن العربية أكثر لغات الأرض امتيازاً، وهذا الامتياز من وجهين الأول من حيث ثروة معجمها، والثاني: من حيث استيعابها آدابها.¹¹

ج- فرنباغ (الألماني): يقول: «ليست لغة العرب أغنى لغات العلم فحسب بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجاي والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبة»¹².

د- فيلا سبازا: يعتبر أن: «اللغة العربية من أغنى لغات العالم، بل هي أرقى من لغات أوروبا لتضمنها كل أدوات التعبير في أصولها في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة. ولا تزال حتى الآن تعالج رمم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه»¹³.

و- أرنست رينان (مستشرق): وقد ورد في كتابه "تاريخ اللغات السامية" قوله: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى، عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها»¹⁴.

ر- وليم ورل الأمريكي: فيقول: «إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أية لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها. وستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي»¹⁵.

وهذه الشهادات المنصفة إنما هي فيض من فيض ، عرضناها لنقدم للقارئ العربي الصورة الحقيقية للغة العربية من وجهة نظر أعدائها ، حتى لا تخدعه تلكم الخزعبلات والترهات التي يقدمها الحاقدون على العربية.

2- انعكاسات ضعف اللغة على الأمة : إن استمرار الضعف في اللغة

أ- من شأنه أن يضعف قدرة اللغة على تحقيق التفاهم بين المتعاملين بها، ويعطل وظيفتها التواصلية ، ذلك أن اللغة الضعيفة تتحلل من قيود القواعد ، وتبتعد عن أصولها الثابتة.

ب- ومن شأنه أن يؤدي بالتدرج إلى ذوبان الشخصية وفقد الهوية، فضياع اللغة هو ضياع للأصالة والانتماء.

ج- ومن شأنه أن يترك فراغا فكريا أو ثقافيا لدى الأمة، ويضعف الصلة بتراتها وتاريخها وأمجادها السالفة ، مما يجعل منها لقمة صائغة لغيرها، فتكون بذلك مهياة للغزو الفكري ، وهو غزو كما هو معلوم يجعل الأمة فاقدة للإرادة والكرامة.

3- واقع اللغة العربية في الجزائر

تُجمع أغلب التحليلات التي تناولت مسألة اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة على ضعف المستوى اللغوي للمتعلمين، واختلفت التحليلات بعد ذلك في كشف أسباب الضعف ، وفي تحليل مظاهره ، وفي اقتراح أساليب معالجته والحقيقة أن هذا الوباء لم يصب وطننا عربيا دون آخر، بل عم الأقطار العربية قاطبة، وقد تعالت الأصوات من هنا وهناك شاكية من الشكوى من الضعف العام في اللغة العربية، ومتألّمة من الوضع المؤسف الذي وصلت إليه هذه اللغة على أيدي أبنائها ومتوجسة الخوف الشديد من خطر هذا الضعف الذي يزداد مع الأيام سوءا. وهذه الأحكام في الحقيقة ليست ذاتية، وإنما هي صادرة من لدن المختصين.¹⁶ الأمر الذي قد يطرح أكثر من تساؤل؟ ولعل أهم تلكم الأسئلة:

- ما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف.

- هل المشكلة كامنة في العربية كلغة؟ أم أن القصور والوهن في الناطقين بها ؟ تساؤلات يسعى هذا المقال إلى الإجابة عنه مستعينا في ذلك بعرض بعض مما جادت به قرائح المختصين في هذا المجال.

1- الأسباب العامة المؤدية إلى الضعف

رغم تمايز الأقطار العربية عن بعضها البعض في الكثير من الخصوصيات، إلا أننا نكاد نجزم أن ثمة تشابه كبير بينها فيما يخص أسباب الضعف في تحصيل اللغة العربية، و ي رجع المختصون ذلك القصور إلى جملة من الأسباب لعل من أهمها:

أولاً : قلة الحصص الدراسية المخصصة للغة العربية في مختلف المراحل التعليمية .

ثانياً : عدم العناية بالمستوى اللغوي القويم في الدروس التي تقدم باللغة العربية .

ثالثاً : ظاهرة الازدواج اللغوي بين العامية والفصيحة، وبين العربية واللغات الأخرى حيث يكاد التعامل بالعربية الفصيحة يكون حبيس جدران القسم الدراسي مما يتيح للعامية واللغات الأخرى السيطرة على ذهن التلميذ ولسانه خارج القسم في البيت والشارع والساحة.

رابعا : انعدام التأهيل اللغوي لدى مدرسي اللغة العربية ، فهم يحتاجون إلى إعادة التأهيل لمواكبة الحاجات الجديدة التي يجب أن تعبر عنها اللغة خاصة على المستويين الفكري والعلمي.¹⁷

خامسا : انعدام الملكة اللغوية لدى المتعلمين ، وعزوفهم عن تعلم اللغة العربية بشكل سليم ، الأمر الذي أدى إلى ضعف

قدرتهم على فهم اللغة واستعمالها، وقُتِل القدرة الإبداعية والتواصلية لديهم ، وهذا الأمر ألح عليه ابن خلدون حيث قال «إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيهم فينسج هو عليه ، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم ، وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».¹⁸

2- الأسباب الخاصة بالجزائر

إن المتتبع لسيرورة اللغة العربية في الجزائر يدرك جليا أن وضعها متردي للغاية ، ولاجرم أن ثمة أسباب متعددة ومتنوعة تقف وراء هذا الوهن ، منها ما هو متعلق بالجانب الإيديولوجي ، ومنها ما هو متعلق بالجانب البيداغوجي، ومنها ما هو مرتبط بالجوانب الذاتية المتعلقة بالمعلم والمتعلم.

أ- الأسباب الإيديولوجية

إنه وعلى الرغم-من كثرة المخلصين لهذا الوطن المفدى إلا أن ثمة أطراف معينة في المجتمع الجزائري تتبنى خلفيات فكرية إيديولوجيا أقل ما يقال عنها أنها هدامة ومشينة ، تسعى وبقوة إلى فرضها على المجتمع الجزائري من خلال المنظومة التربوية، وهو ما قد يعرقل سيرورة الإصلاح التربوي ويقف حجر عثرة في الارتقاء باللغة العربية فلا يخفى على ذي لب أن هناك:

- تيار يدعو إلى فرض اللغة الفرنسية على المجتمع الجزائري ، وجعلها لغة رسمية في كل المجالات و القطاعات، بدء بالإدارة وانتهاء بالتعليم، ويقف معاديا للغة العربية ويدعو إلى الاحتفاظ بها في المتاحف باعتبارها لغة ميتة لا تصلح لهذا العصر .
- تيار يلتقي مع التيار الأول لكنه يجذب الازدواجية، كأن يزاوج مثلا بين (الفرنسية والعربية)، أو بين (العامة والعربية)، أو بين (العربية والأمازيغية) والمهم أن لا تعطي فرصة للغة العربية.
- تيار ثالث ينظر إلى اللغة العربية بأنها لغة استعمار محتل، ويدعو إلى اعتماد اللغة البربرية بديلاً عنها إلى جانب اللغة الفرنسية.

-تيار رابع يدعو إلى إعطاء اللغة العربية مكانتها اللائقة بها ، كلغة وطنية حضارية لها من المقومات ما يجعلها قادرة على التطور ومواكبة التكنولوجيا الحديثة أكثر من أية لغة حية .

ويستخدم الصراع بين مختلف التيارات،- ويكاد يتغلب التيار الأول-،وهي مفارقة عميقة، إي والله !فمن جهة يتباهى بالانتماء إلى العروبة، ويعتز باللغة العربية باعتبارها اللغة الرسمية للدولة بناء على ما يقره الدستور، ومن جهة أخرى تتعالى صيحات فاعلة من هنا وهناك تدعو إلى فرض الفرنسية، واعتماد بعض اللهجات في المدرسة الجزائرية. ولاجرم أنه إذا تمكن هذا التيار من فرض سلطته في هذا الوقت بالذات- زمن العولمة وصراع الحضارات- فإن الخاسر الوحيد هو المجتمع الجزائري الذي لا يزال يردح في وحل الأمية، ويتخبط في أطناهما، وإذ كان لابد من إبداء تعليق على هذا الأمر فإنه يمكن القول أن من أكبر مصائب الأمة أن يكون تعليمها بغير لغتها، وتفكيرها بغير أدواتها، وقياس حاضرها يكون بمعايير وضوابط حضارية غريبة عنها.

4- موقع اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية

إن الإصلاحات التربوية تقوم على أساس اللغة العربية وليس من دونها ولا إصلاح بتهميش اللغة العربية، من نحن حتى لانطبق ونتقيد باللغة العربية؟. وانطلاقاً من هذا التصور سعت وزارة التربية الوطنية إلى جعل المؤسسة التعليمية مواكبة للمتغيرات التي يعرفها العالم، وقادرة على مواجهة تحديات العصر، وذلك رغبة منها في جعل التربية تحافظ على مبررات استمرارها، فهي مطالبة دوماً بالأخذ بعين الاعتبار بتلك المستجدات والتطورات حتى تكون أداة للتحويل الاجتماعي الواعي المتناغم مع التراكم المعرفي المتجدد والتطورات السريعة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وغير ذلك من المجالات الحيوية التي تساعد على تسريع النمو الاقتصادي والازدهار الثقافي. فعمدت في العشرة الأخيرة إلى إحداث تغيير جذري اتجهت فيه إلى مرحلة الإصلاح معتبرة إياه من أهم الأولويات، ومولية أهمية للغة العربية فهي تعتبر قوام الفعل التعليمي- التعليمي- في منظومتنا التربوية عامة وتمثل لغة ناقلة للمعرفة ووسيلة للنهوض بفكر المتعلم في الأقسام الأدبية خاصة.¹⁹ حقيقة أكدها منهاج اللغة العربية للسنة الثالثة وذلك من خلال الفكرة الآتية: « يكتسي تدريس اللغة العربية في هذه السنة أهمية خاصة وذلك بالنظر إلى كون هذه السنة تُعد تنويعاً لمرحلة التعليم الثانوي، وكذلك كونها سنة اجتياز امتحان البكالوريا.²⁰ لكنه- وعلى الرغم من هذه الجهود المبذولة- إلا أنه لا توجد نوايا صادقة وحقيقية اتجاه ترقية اللغة العربية، ولا اتجاه الإصلاح التربوي ككل، وهو ما عبر عنه الطاهر لوصيف بقوله: « إن الدارس يصاب بخيبة أمل كبيرة بعد خوض تجربة الإصلاح هذه في مجال تعليمية النصوص والأدب؛ حيث ألبس المحتوى التعليمي القدام تصوراً ومحتوى وطريقة لبوس الإصلاح والتجديد، ودبجت المقدمات والمضامين بعبارات طغى عليها وهم الإصلاح، بما تضمنته من مصطلحات المقاربة المتبناة، وبعض أدبياتها التي بثت في ثنايا خطابات قديمة بعثت في ثوب التجديد، من خلال منهجية تقليدية متوارثة لا تصلح البتة لمطالب التوجه الجديد، بل إنها فوتت فرصة ثمينة للانخراط الفعلي في التعليمية الجديدة للأدب والنصوص، والشروع في تمهيد سبل الانتفاع بها.²¹

ولتأكيد هذه الأحكام سنحاول استظهار جملة من العوائق البيداغوجية والتربوية التي أحسب أنها كانت تبطئ نمو وتطور اللغة العربية في المدرسة الجزائرية والتي منها:

1- عيوب تتعلق بالمحتوى التعليمي التعليمي

ما يلاحظ على المحتوى التعليمي التعليمي لمادة اللغة العربية في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي أنه كثيف جداً، ولا يتناسب مع الحجم الساعي المقرر للمادة، مما يدفع بالكثير من الأساتذة إلى الإسراع في إنجازها وإتمامه لمواكبة سيرورة الامتحانات الرسمية (شهادتي التعليم المتوسط والبكالوريا)، تحت ضغط المفتشين والوزارة، وهو ما ينعكس سلباً على المتعلمين. كيف لا؟، وقد انتقل هدف العملية التعليمية التعلمية من فكرة الفهم والإفهام إلى فكرة إتمام المحتوى التعليمي.

2- عيوب تتعلق بطريقة التدريس

إن مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم الثلاث قد خصت طريقة التدريس بالاهتمام حيث اعتبرتها إحدى مكونات تصوراتها التي قدمتها لتعليمية اللغة العربية وآدابها، فقد دعت إلى تنويع طرائق التدريس²²، معتبرة أن الالتزام أمر يتنافى مع المقاربة بالكفاءات.²³ فليس هناك طريقة معينة وأسلوب معين في التدريس يمكن أن يتبعه المدرس في كل نشاط بل

وفي كل درس²⁴ حيث أن الالتزام بطريقة واحدة في جميع النشاطات يجعل النشاط رتيباً مملاً تنعكس آثاره على المتعلمين بالخمول والكسل.²⁵ فالمنهاج إذن يعطي الحرية للمدرس ليكيف درسه ، ويوافق ظروف الموقف التعليمي الذي يواجهه بما فيه من عوامل ومؤثرات²⁶، رغبة منه في إذكاء روح التفكير والتعمق في دراسة النص دراسة إبداعية ، بنزعة عقلية وتفكير منطقي يجعل التلميذ يتعلق باللغة وآدابها ما دمت تسمو بفكره وترقى بعقله وتمتع مشاعره.²⁷ غير أن المفارقة المسجلة هاهنا هي كيف يطلب من المعلمين والأساتذة تنويع الطريقة، وهم متشبثون بما تشبث بالطريقة التقليدية القائمة بالأساس على التلقين ، معتبرين المتعلم خزاناً للمعرفة ليس إلا، وهذا أمر يتنافى مع جوهر المقاربات الجديدة (المقاربة بالكفاءات والمقاربة النصية)، التي تدعو إلى تفعيل دور المتعلم ، واعتباره عنصراً فاعلاً في العملية التعليمية.

3- عيوب تتعلق بالكتاب المدرسي

يعتبر الكتاب المدرسي أحد الدعامات الديداكتيكية المعتمدة في العملية التعليمية التعلمية، وهو دعامة رئيسية ووسيلة أساسية يعول عليها المتعلم والمعلم. فهي بالنسبة للمتعلم دعامة متكاملة ومنظمة حاضرة معه في البيت والمدرسة، وأما بالنسبة للمعلم فهي إطار مرجعي يحتكم إليه ويتصرف في حدوده، كما أنه مصدر للمادة الدراسية، يسترشد به في إعداد الدروس وتنفيذها وتحقيق أكبر قدر من أهداف المنهج ، وتُشكل كتب اللغة العربية في مراحل التعليم، أحد المكونات التعليمية الأساسية للطريقة التعليمية. وتأتي أهميته في كونه المسؤول عن عملية تنفيذ التصورات التي تضمنتها مناهج اللغة العربية وموضع الاختبار العملي لها ، غير أنه و للأسف يمكن تسجيل مجموعة من العيوب لوحظت على كتبنا المدرسية قد يكون من أهمها :

أ- إغفال شرط التدرج

فالتدرج آلية تربوية معلومة، إذ يراعى فيها مستوى فهم المتعلمين وقدراتهم وسنهم وغير ذلك من الأمور النفسية، ولا بد أن تكون المقررات الدراسية ملائمة لمستواهم ، وإلا فسدت العملية كلها، وتنمية مهارات التلميذ ترتبط بنوعية « المناهج المقررة وملاءمتها لمستويات الناشئين العقلية وتلبيتها لحاجاتهم العملية». ²⁸ ولا شك أن هذا ما تفتقده كتبنا المدرسية وليس أدل على ذلك من كتب اللغة العربية المقررة للمرحلة الابتدائية حيث يعجز معلم في كثير من الأحيان على استيعاب محتوياتها. فما بالك بالمتعلم. أما عن مظاهر انعدام التدرج في مرحلتي المتوسط و الثانوي ، فنذكر مثلاً تكرار أغلب دروس النحو والبلاغة والعروض، وقد نجد هذه الظاهرة في سنوات المرحلة التعليمية الواحدة.²⁹ مثل ما هو موجود في المرحلة الثانوية. ويمكن تفسير هذا الأمر - ديداكتيكياً- بالقول : أن ثمة تشابهاً كبيراً بين المستويات التعليمية المذكورة فيما يخص الهدف الختامي لهذه الأنشطة إلى درجة أننا لا نكاد نلمس شيئاً يميز المتعلم الذي يدرس في القسم النهائي عن دونه في المستوى.

4- الأسباب المتعلقة بمعلم ومتعلم اللغة العربية

أ- الأسباب المتعلقة بمعلم اللغة العربية

ونكتفي بعرض سبب واحد نحصره في انعدام التأهيل حيث أن بعض معلمي وأساتذة اللغة العربية غير مؤهلين البتة لتدريسها لأنهم ليسوا أهل اختصاص³⁰. وقد تمّ توزيعهم في قطاع التربية عن طريق الإدماج الذي سنته الوزارة في العشرية الأخيرة، وهي ذات الفترة التي قوّي فيها الضعف اللغوي، وهنا لا بد من تذكير الجهات المعنية بأهمية دور المعلم في العملية

التعليمية التعلّمية ، إذ لابد من توفير جميع الإمكانيات اللازمة لإعداداته وتأهيله تربوياً و مهنيّاً ذلك أن مهنة التعليم لم تعد تقوم على الفطرة والموهبة والممارسة فقط ، بل لابد من إتقان الأصول و القواعد و الأساليب الفنية القائمة على أسس علمية مستمدة من الأطر والنظريات التربوية والنفسية إلى جانب التدريب والتأهيل قبل الخدمة وأثناءها.

ب- الأسباب المتعلقة بمتعلم اللغة العربية: يمكن حصرها فيما يلي

1- تدني الدافعية للتعليم ، فالدافعية هي مجموعة المشاعر التي تدفع المتعلم إلى الانخراط في نشاطات التعلم التي تؤدي إلى بلوغه الأهداف المنشودة، وهي ضرورة أساسية لحدوث التعلم، وبدونها لا يحدث التعلم الفعال، فإذا توفرت في ذات المتعلم فإنه ي قدم على التعلم مدفوعاً برغبة داخلية لإرضاء ذاته وسعيها وراء الشعور بمتعة التعلم وكسب المعارف لكن المؤسف حقاً أن الدافعية للتعلم انعدمت لدى المتعلم الجزائري، فلا تحاور أحداً من المتعلمين إلا وجدته يائساً من الدراسة وهي مشكلة عميقة تستدعي تدخلاً عاجلاً من لدن أولى الأمر وأهل الاختصاص من نفسانيين واجتماعيين.

2- انعدام الملكة اللغوية لدى المتعلمين وعزوفهم عن تعلم اللغة العربية والشكوى من صعوبتها.

3- استخفاف أغلب المتعلمين باللغة العربية، والنظر إلى الجهل بها على أنه أمر لا يعيب صاحبه. وكيف يعيبه والكل يستعمل العامية.(الأسرة ، المعلم، المدير ، المفتش ، الإعلام...)

5- سبل النهوض باللغة العربية والارتقاء بها

إن النهوض باللغة العربية يتطلب بداية تكوين وعي فكري لغوي سليم يساير الوعي السياسي، يدفع إلى السعي الحثيث لإعادة الاعتبار للعربية، وجعلها لغة التعليم بدءاً بالتعليم في مراحله الأولى وانتهاء بالجامعات ومراكز البحث العلمي. ومسؤولية تحقيق ذلك تقع على عواتق السياسيين المخلصين ، وعلى حملة اللغة من مفكرين ومنظرين وباحثين فيها وعلى مدرسيها ومتعلميها، كل يشغل من موقعه ويسهم بما يستطيع. ولمواجهة هذا الضعف ينبغي تحديد الأهداف العامة المرجوة من تطوير تعليم اللغة العربية والتي منها تحقيق:

1-الكفاية اللغوية: ويقصد بها سيطرة المتعلم على نظام اللغة العربية ومعرفته بتركيبتها وقواعدها الأساسية: نظرياً ووظيفياً والإلمام بقدر ملائم من مفردات اللغة للفهم والاستعمال، فالكفاية اللغوية إذن هي قدرة المتكلم -المستمع المثالي- على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني، في تناسق وثيق مع قواعد لغته.³¹ وهذه الكفاية ينطبع عليها الإنسان منذ نعومة أظفاره وخلال مرحلة اكتسابه للغة وتكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقواعد اللغة.³² إذاً فالكفاية اللغوية هي عملية إدراك عقلي واستبطان لقواعد اللغة، فلا يكون فيها انحراف عن القواعد ولا خطأ ولا سهو، بل هو امتلاك ناصية القاعدة اللغوية الصحيحة³³ ، وتحقيق هذه الكفاية بـ:

أ-دعم الملكة اللغوية للتلميذ و جعله قادراً على فهم اللغة واستعمالها .

ب-تفثيح القدرة الإبداعية للتلميذ بربطه بالنماذج ذات القيمة الفنية العالية في اللغة العربية.

ج-شحن قدرة الفهم عند التلميذ ، باقداره على إدراك المعاني والأفكار والتصرف فيها و تلخيصها و إعادة إنتاجها.

2- الكفاية الاتصالية : ونعني بها تمكن المتعلم من أداء وظيفة التواصل (التعبيرية) مع الآخرين عن طريق اللغة العربية مع تمكنه من استيعاب ما يتلقى من اللغة في يسر وسهولة . وتحقق هذه الكفاية بتمكين المتعلم من الاستعمال السليم للغة في المواقف التخاطبية المختلفة. وتمكينه من التعبير القويم.

3- الكفاية الفكرية : ويقصد بها ضرورة ربط اللغة العربية بالمعتقد وبالحضارة والفكر، والتاريخ والقيم والآداب والهوية وما إلى ذلك.

ويتوقع من الطالب بعد امتلاك هذه الكفايات أن يكون قادراً على توظيف اللغة العربية في التعبير عن المشاعر والأفكار، واستخدام مهارات الاتصال الأربع الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة بكفاية لمواجهة مواقف الحياة المختلفة. واستخدام العربية بمكونات نظامها (أصواتاً وصرفاً ونحواً وبياناً) على وفق صورتها الفصيحة بما يتلاءم مع الحياة لمعاصرة . وبناء على هذا فإن التعليم الصحيح للغة العربية لابد أن يهتم بالنقاط الآتية :

أ- تصحيح الهدف من دراسة اللغة العربية

ب- الإعداد الكامل للمواد اللغوية

ج- وجود المدرسين المؤهلين بالتدريس

د- طرق التدريس المناسبة للمتعلمين

هـ- استخدام الوسائل التعليمية الحديثة

وعلى المتعلمين إن أرادوا امتلاك ناصية اللغة العربية أن يكتثروا من:

أ- قراءة الكثير من النصوص الفصيحة قراءة متأنية، مع إمعان النظر في المفردات والتراكيب لحفظها واستعمالها والقياس عليها. ذلك أن ملكة اللغة تُكتسب بالحفظ والسماع ، أكثر مما تُكتسب بالضابط و القاعدة.

ب- الرجوع المتكرر إلى المعاجم اللغوية ، وحفظ ما أمكن من مفرداتها

ج- قراءة كتب النحو - خاصة الحديثة - ومحاولة فهم قواعد العربية.

الخاتمة:

وفي ختام هذا المقال لا يسعنا إلا أن نقول أن سيادة اللغة العربية وانتشارها الصحيح في الحياة ، هو من أهم الأولويات التي ينشدها الشرفاء في هذه الأمة ، وأنه لن يتأتى هذا إلا بتضافر وتكاتف جهودهم إن في المدرسة وفي البيت وفي وسائل الإعلام..، إن أردنا أن نعيد إلى العربية سابق مجدها ، وأن نحفظ أجيال الأمة من الضياع اللغوي. ورحم الله الثعالبي حين قال- في كتابه فقه اللغة من أحب الله أحب رسوله..، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية وعني بها وثابر عليها ، وصرف همته إليها.

5- الهوامش:

1- جون جوزيف ، اللغة والهوية ، تر:عبد النور خراقي ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، آب، أغسطس 2077 ، العدد 342 ، ص35

2- حامد فؤاد ، تأصيل الحضارة العربية الإسلامية ، المستقبل العربي بيروت، أيلول، 1980، ص43

3- الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح : عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة بيروت، 1979، مادة (لغو) ، ص410

4- نقلا عن محمود بن يوسف فجال ، فضل اللغة العربية على اللغات كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب . جريدة الجزيرة، المملكة العربية السعودية العدد 12600، ربيع الأول 1428، ص87

5- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، دار الكتب اللبنانية ، دت، 1960، ص22

6- المرجع نفسه ، الصفحة546

7- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

- 8- مصطفى الصادق الراجحي ، تحت راية القرآن ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط5، 1963، ص22
- 9- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
- 10- المرجع السابق ، الصفحة نفسها بتصرف
- 11- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها بتصرف
- 12- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
- 13- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
- 14- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
- 15- أنور الجندي ، اللغة العربية بين حمايتها وخصومها ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ص28¹⁵
- 16- من أمثال شكري فيصل الذي يقول من المؤسف أن يكون واقع شبابنا الذي يتخرج من الثانويات - وهل علي من حرج أن أقول والذي يتخرج أن أقول والذي يتخرج من الجامعات - أنه لا يتقن لغة ما - حتى العربية أحيانا - لقراءتها قراءة تدبر. ولذلك فهو لا يقرأ... وإذا قرأ فهو لا يفهم وإذا فهم فهو لا يعقل ، وإذا عقل فهو لا يتفاعل لأن الشرط الأول في تحقيق التفاعل هو امتلاك اللغة. وقد عبر عن هذه المأساة نجاد الموسى بالقول: إن الطالب العربي المتخرج في المدرسة بل المتخرج في الجامعة لا يقرأ كما ينبغي أن يقرأ، ولا يكتب كما ينبغي أن يكتب ، فهو كثير الخطأ في الإملاء كثير الخطأ في النحو ، وهو كذلك لا يسمع كما ينبغي له أن يستمع. وهذا التردّي في الحقيقة لم يكن مقصوراً على فئة دون أخرى ، أو على مرحلة تعليمية دون غيرها ، بل شمل - أحيانا - حتى مدرسي اللغة العربية أنفسهم فقد يعجز بعضهم عن كتابة رسالة خالية من العجمة بريئة من الركافة أو العامية سليمة من الخطأ. ينظر: شكري فيصل، تحسين وسائل خدمة اللغة العربية في الوطن العربي، في اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط2، 1986، ص402. ينظر نجاد الموسى، مقدمة في علم تعليم العربية، ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، الجامعة التونسية سلسلة اللسانيات ، العدد5، 1983، ص152
- 17- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، العدد 212، 1996، ص28
- 18- ابن خلدون ، المقدمة ، ص561
- 19- وزارة التربية الوطنية ، منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي (اللغة العربية وآدابها) ، مارس2006 ، الجزائر ، ص7
- 20- وزارة التربية الوطنية ، منهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي (اللغة العربية وآدابها)، مارس2006 ، الجزائر ، ص2
- 21- الطاهر لوصيف ، تعليمية النصوص والأدب في مرحلة التعليم الثانوي الجزائري ، برنامج السنة الأولى جذع مشترك آداب دراسة وصفية تحليلية نقدية ، دكتوراه مخطوط ، إشراف حولة طالب الإبراهيمي، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، 2007/ 2008 ، ص342
- 22- منهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي ، ص17
- 23- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
- 24- منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي ، ص19
- 25- منهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي ، ص17
- 26- منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي ، ص19
- 27- المرجع نفسه ، الصفحة 23
- 28- أحمد المعتوق ، الحصيلة اللغوية ، ص159
- 29- يمكنك الاطلاع على محتويات هذه الأنشطة من خلال السندات البيداغوجية المقررة في المتوسط و الثانوي
- 30- أكثرهم غير مختص وقد أكل له تدريس العربية بعد إدماجهم في المناصب ، ورغم أن الوزارة عمدت إلى استحداث دورات تكوينية لهؤلاء الأساتذة إلا أن دار لقمان بقيت على حالها، ولم يستفد من هذا التكوين شيئا وما ذاك إلا لأن الأساتذة المؤطرين ليسوا أهل تخصص كذلك فأغلبهم أساتذة ثانوي أو مفتشين لا يملكون إلا خبرة الأقدمية
- 31- ميشال زكريا ، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر بيروت لبنان ، ط2، 1985، ص61
- 32- ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للدراسات النشر بيروت ، ط2، 1986، ص32
- 33- المرجع نفسه ، الصفحة32/

قائمة المراجع

- 1- أحمد محمد المعتوق ، الحصيلة اللغوية ، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد212، 1996
- 2- أنور الجندي ، اللغة العربية بين حمايتها وخصوصيتها ، مطبعة الرسالة القاهرة مصر
- 3- جون جوزيف اللغة والهوية، تر: عبد النور خراقي، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، آب/ أغسطس العدد342، 2007
- 4- حامد فؤاد ، تأصيل الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة المستقبل العربي بيروت ،أيلول، 1980
- 5- ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، دار الكتب اللبنانية ، لبنان ،1960
- 6- الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة بيروت، 1979
- 7- الطاهر لوصيف ، تعليمية النصوص والأدب في مرحلة التعليم الثانوي الجزائري برنامج السنة الأولى، جذع مشترك آداب، دراسة وصفية تحليلية نقدية، دكتوراه مخطوط، إشراف خولة طالب الإبراهيمي ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2007/2008
- 8- شكري فيصل، تحسين وسائل خدمة اللغة العربية في الوطن العربي، في اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط2، 1986
- 11- وزارة التربية الوطنية ، منهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي (اللغة العربية وآدابها) ،شعبة آداب/ فلسفة مارس الجزائر
- 12- وزارة التربية الوطنية، منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي (اللغة العربية وآدابها)، مارس الجزائر، 2006
- 8- محمود بن يوسف فحال، فضل اللغة العربية على اللغات كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب ، جريدة الجزيرة السعودية العدد10، 12600، ربيع الأول1428
- 9- المصطفى بوشوك، تقويم الجانب اللغوي خلال تدريس مواد العربية بالتعليم الثانوي ، مجلة الدراسات النفسية والتربوية ، العدد3 1983
- 10- ميشال زكريا ، مباحث في النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ، لبنان ، ط2، 1985
- 11-....، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ، ط2، 1986
- 14- نهاد الموسى ، مقدمة في علم تعليم العربية ، ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية ، سلسلة اللسانيات، الجامعة التونسية العدد5 ، 1983